ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

المجازر الاستعمارية خلال فترة الثورة التحريرية
منطقة جيجل أنموذجًا ١٩٥٦ – ١٩٦٢

بورمضان عبد القادر
أستاذ مساعد "أ" قسم العلوم الإنسانية
جامعة ٢٠ أوت ـ ١٩٥٥
سكيكدة – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

تعرضت شعوب إفريقيا وأسيا لهجمة استعمارية غاشمة خلال القرن التاسع عشر الميلادي وقبله، وإذا كان الاستعمار هو عملة واحدة رغم تعدد أشكاله، فإن الاستعمار الفرنسي كان الأشد وطأة وقسوة وبطشًا بالنسبة للشعوب التي ابتليت به ومنها الشعب الجزائري. يتناول المقال ظاهرة المجازر الاستعمارية التي ارتكبتها فرنسا في الجزائر خلال فترة الثورة في منطقة جيجل شرق الجزائر وهذه المجازر كانت قد ارتكبت إما لإخفاء الهزائم العسكرية للجيش الفرنسي أمام جيش التحرير الوطني مثل مجزرة بني مسلم أواخر ١٩٥٦ أوفي إطار تطبيق سياسة المناطق المحرمة التي كانت منطقة جيجل معنية بها، ومع مجيئ شارل ديغول ١٩٥٨ ازدادت وتيرة المجازر خاصةً على أثر العمليات العسكرية الكبرى مثل عملية الضباب خريف ١٩٥٩، أو بسبب الالتفاف الشعبي حول الثورة خاصةً خلال الفترة (١٩٦٠ – ١٩٦٢) حاولت فرنسا قمع المظاهرات الشعبية في منطقة جيجل التي دفعت قوافل من الشهداء وشهدت أعمال ترويع بشعة ارتكبها الجيش الفرنسي.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال:	٢٥	أغسطس	٢٠١٦
تاريخ قبول النشر:	١٨	يناير	٢٠١٧

كلمات مفتاحية:
تاريخ الجزائر الحديث، الثورة التحريرية، الاستعمار الفرنسي، الجيش الفرنسي، المجازر الاستعمارية، منطقة جيجل

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0054803

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
بورمضان عبد القادر. "المجازر الاستعمارية خلال فترة الثورة التحريرية: منطقة جيجل أنموذجا ١٩٥٦ – ١٩٦٢".- دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد الثاني والأربعون؛ ديسمبر ٢٠١٨. ص١١٨ – ١٢٦.

مُقَدِّمَةُ

لقد تعرضت شعوب إفريقيا وأسيا لهجمة استعمارية غاشمة خلال القرن التاسع عشر الميلادي وقبله، وإذا كان الاستعمار هو عملة واحدة رغم تعدد أشكاله، فإن الاستعمار الفرنسي كان الأشد وطأة وقسوة وبطشًا بالنسبة للشعوب التي ابتليت به ومنها الشعب الجزائري الذي تحمل الضغط الاستعماري لمدة قرن وثلث القرن، داق خلالها كل أنواع القهر والاستعباد وتعرض لمجازر يندى لها جبين الإنسانية، وكانت منطقة جيجل، التي كانت مهيكلة ضمن المنطقة الأولى وجزء من المنطقة الثانية (الميلية) الولاية الثانية قد عرفت خلال فترة الثورة التحريرية وتحديدا بين ١٩٥٦ |إلى ١٩٦٢ مجازر استعمارية بشعة دهب ضحيتها عشرات المواطنين من أفراد الشعب ذنبهم أنهم ما كانوا متعاطفين مع الثورة وهذا طبيعي، أو كانوا ضمن نطاق المعارك والكمائن، ولم تفرق الآلة الاستعمارية في هذه المجازر بين النساء والأطفال والرجال والشيوخ رغم تركيزها على الفئة الصلبة المجتمع وهم الشباب والرجال ومن هنا نتساءل: ما هي حيثيات هده المجازر؟ ما الظروف التي وقعت فيها؟ هل كان لمجيئ شارل ديغول أثرًا في زيادتها؟

أولاً: المجازر لإخفاء الهزائم العسكرية أمام الثورة

في أواخر شهر أكتوبر وأوائل نوفمبر ١٩٥٥ استطاع مجموعة من الثوار بدوار بني مسلم تحضير كمين والقيام

بتمويه على القوات الفرنسية ودخلوا معها في اشتباك عند الوادي الكبير والحقوا بالعدو خسائر بشرية كثيرة وغنموا بعض العتاد الحربي وبعدها قامت القوات الفرنسية بتكثيف عملياتها في المنطقة وتوزيع مناشير إلى السكان تعلن التمرد وأعتقد بيجار أن الجيش التحرير انتهى، غير أنه في نهاية شهر سبتمبر ١٩٥٦ م نصب المجاهدون كمينا لقافلة عسكرية فرنسية قادمة من العنصر إلى محتشد أيذم وألحقوا بها خسائر فادحة في الأرواح والعتاد فلجأ العدو للانتقام من السكان بالقتل الجماعي والحرق والقنبلة للمشاتي المجاورة للكمين وهذا الجدول يوضح ضحايا مجزرة دوار بني مسلم.

الرقم	الاسم واللقب	الرقم	الاسم واللقب	الرقم	الاسم واللقب
١	كلوا أحمد بن زيدان	٢١	شعور أحسن بن بوزيد	٤١	عواجة بوخميس بن علي
٢	شلاطة محمد بن بوخميس	٢٢	شعور محمود بن محمد	٤٢	بوطف صالح بن علي
٣	رمرام محمد بن أعمر	٢٣	زويتر الزهرة بنت عمار	٤٣	حلبوط الحسين بن علي
٤	كلكول مسعود بن بلقاسم	٢٤	عدرف عياش بن أحمد	٤٤	موسى رابح بن بلقاسم
٥	رمالي مخلوف بن أحمد	٢٥	فوتيح مبارك بن صالح	٤٥	رفاس العربي بن إسماعيل
٦	بوالدار الحسين بن أحمد	٢٦	درويش محمد بن أحمد	٤٦	القيقط مسعود بن الحسين
٧	السخون الحسين بن أحمد	٢٧	شعير راع بن بلقاسم	٤٧	تومي أحسن بن أحمد
٨	مليط أعمر بن صالح	٢٨	شطيبة محمد بن صالح	٤٨	رحيم يقوتة بنت البشير
٩	عواجة الصادق بن الطيب	٢٩	ظريف صافية بن مبارك	٤٩	لزعر شريفة بنت علي
١٠	مسلم صالح بن حسين	٣٠	طنيير فاطمة بنت محمد	٥٠	مروش مصطفى بن الحسين
١١	مروش إسماعيل بن علي	٣١	شعور محمد بن بوخميس	٥١	هروم محمد بن بولعيد
١٢	بويلومسعود بن صالح	٣٢	اهروم الخلفة بن مبارك	٥٢	مليط مسعود بن أحمد
١٣	مروش أحمد بن مبارك	٣٣	اهروم صالح بن الخلفة	٥٣	طبيخ مخلوف
١٤	تومي إسماعيل بن بوخميس	٣٤	مليط بوجمعة بن رابح	٥٤	شعور سعيد بن أحمد
١٥	خاين محمد بن الطيب	٣٥	شطيبة محمد بن صالح	٥٥	بنان مبارك بن مسعود
١٦	خاين محمد بن المولود	٣٦	أرحيم مسعودة بنت محمد	٥٦	طنيبر فاطمة بنت المختار
١٧	خاين عبد الحميد بن محمد	٣٧	شطيبة أحمد بن محمد	٥٧	طنيبر حسان بن المختار
١٨	توير الحسين بن بلقاسم	٣٨	شحطة السعيد بن زيدان	٥٨	طنيبر محمد بن المختار
١٩	كبيش محمد بن مسعود	٣٩	بوطف أعمر بن مسعود	٥٩	طنيبر ... بنت إسماعيل
٢٠	شعور محمد بن بوزيد	٤٠	بوطف حسين بن الطاهر	٦٠	طنيبر ... بنت إسماعيل[1]

بقي غديري المختار (بوقليع) ونصب كمين من طرف المجاهدين لقوات فرنسية بين الشققة والطاهير بوادي بوقرعة يوم ٢٩ جانفي ١٩٥٧ والذي تحول إلى إشتباك عنيف وتدخل العدو بالذبابات والطائرات وقد توجه المواطنون وأعضاء من النظام السياسي إلى غابة بوفولة وهناك لاحقتهم فرقة من العدو ورافقها المعمر بيري الذي كان يتحدث العربية وراح ينادي على المواطنين بأسمائهم للخروج وقال لهم أن القوات الفرنسية قد غادرت، فخدع المواطنين ولما خرجوا شرع العدوفي إطلاق النار عليه من كل جانب فقتل العديد ومنهم:

صابري يوسف، بوكريش بلقاسم، بيراك يوسف، بيوض علي، حمادي، بن صابرة عياش، درياع صالح، بن صابرة عمار، شرافة الشريف، بولفول حسين، رماش شعبان، رماش الشريف، عثمانة الوبي المدعو(فرحات).[2]

وفي منتصف عام ١٩٥٧ نفذ الفدائيان مشيري حسين (دردر) وديابي عمار عملية فدائية ضد المعمر "جان هوجي" يبازول فقتلاه وبعد الإنتقام من سكان المنطقة ألتحق

أخوالمعمر من قسطينة ليثأر له وقتل عشر من مواطين المشتى وهم: حيروس محمد، بوجعطيط يوسف، عبد الليوة صالح، عبد الليوة محمد، منصور محمد بن علي، ضبيب محمد المدعوزيغود، منصور محمد بن بلقاسم، عقبي عمار المدعو (بن دياب)، محدور محمود، بوعكيشة السبتي.[٣]

ثانيًا: المناطق المحرمة استراتيجية مقنعة للمجازر الاستعمارية

بعد فشل فرنسا في القضاء على الثورة في مهدها الأوراس عبر ما أسمته زورا بعمليات التهدئة* (Les opérations de pacifications) بين ١٩٥٥ – ١٩٥٦ لجأت إلى أسلوب جديد وهو التجميعات وخاصة بالولاية الثانية وذلك عبر طريقتين:

١/ إعلان المناطق المحرمة التي تشمل ثلثي مساحة الشمال القسنطيني.

٢/ تنظيم عمليات كبرى تمشيط أوراتيساج (Ratissage) بنقل المدنيين وإجلاءهم بالقوة عن مساكنهم.[٤] وهذه الاستراتيجية هي إفراغ المناطق التي تسميها فرنسا بالمتعفنة من سكانها لمراقبتهم، وأقترح هذه الخطة بورجيس مونوري في جوان ١٩٥٧، وكانت المناطق المعنية هي جيجل والميلية والقل وقادها الجنرال سوفيناك الذي أتخذ من الميلية مقرا لقيادته، وبدأ التمشيط يوم ٣ جوان ١٩٥٧ بالقل والميلية، ويوم ١٧ جوان ١٩٥٧ بالطاهير، وجيجل وفي ١٧ جويلية حذرت السلطات الفرنسية سكان هذه المناطق بأن العقاب الإلهي سيحل بهم إذا لم يغادروا قراهم واستخدمت طائرات B26 وB46 وقنبلت هذه المناطق ثلاث مرات يوميًا، في سبتمبر ١٩٥٧ استخدمت ٢٠٦ طائرة وقنبلت بني فرقان والجزية بالميلية وزيارة بمدينة القل، فهذه المناطق المحرمة (Zone interdite) طبقت عليها سياسة الأرض المحروقة، فقد جاءت في أمرية للجيش الفرنسي مؤرخة في ٢٠ أوت ١٩٥٦.

المناطق المحرمة هي فضاءات لا يسمح للعيش فيها ويستعمل فيها السلاح باستمرار بمتلف أنواعه ضد تجمعات السكان. هذه المناطق مخصصة للأعمال العرضية للتشكيلات العسكرية الجوية. وكان التدخل بهذه المناطق يكون في جميع الأوقات حتى على الأهداف المسالمة سواء بأوامر من القيادة الجوية أو بمبادرة من الأفراد (تخفيف حمولة من القنابل).[٥]

ثالثًا: مجيء شارل ديغول وتزايد حجم المجازر الاستعمارية

أصبحت ممارسات الجيش الفرنسي أكثر وحشية بعد مجيء ديغول للسلطة منتصف عام ١٩٥٨م، مدعيا أن كل شيء سيتغير في الجزائر لكن الأعمال الإجرامية التي وقعت تنفد هذه الادعاءات، فيوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٨م أصدرت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أول بيان وزاري لها، واحتفلت به منطقة جيجل كبقية المناطق، فصنعت النساء الحلويات وتبادل الناس التهاني، وفي البداية اعتبرت فرنسا ذلك تعبيرا لتولي ديغول الحكم، ولما تبين الأمر راحت تزرع الإرهاب الموت على يد الكولونيل "أوسان" قائد المنطقة جيجل، وأشتد القمع شهر أكتوبر فقد ألقى القبض على ٥٢ شخص بين ١٠ و١٢ أكتوبر ١٩٥٨ وبالقرب من جيجل بعدها عثر على جثتي محمد بن يونس ٥٢ سنة، وإسماعيل بن يونس ٢٦ سنة، وفي الطريق بين جيجل وبجاية عثر على جثث الخمسين شخصا الباقين وعرف منهم : شريط عبد الكريم ٣٨ سنة، وستة أطفال، موساوي الناصر ٢٨ سنة، شقرين رشيد ٢٥ سنة، مولود عوار ٢٤ سنة، بوريون عبد العزيز ٢٣ سنة، بوراوي مصطفى ٢٤ سنة، بوراوي الطاهر ٤٥ سنة، بوربيك الطاهر ٥٥ سنة، غوان بغداجي ٤٨ سنة، شيوخ أحسن ١٨ سنة، شيوخ محمد ١٧ سنة، مزغيش أحسن ٢٣ سنة، مقيدش عمر ٥٢ سنة، مقيدش محمود ٤٥ سنة*، كما أصبح الجنود الفرنسيون يرهبون سكان جيجل بدخول البيوت من السقوف لترويع السكان ليلا.[٦]

وفي منتصف عام ١٩٥٨ وبعد نصب كمين للمعمر "لوي طرشون" بأولاد صالح قرب الطاهير نجا منه وأستنجد بقوات عسكرية داهمت المكان وألقت القبض على ستة أفراد من عائلة طالبي وأطلقت النار عليهم أمام مرأى ومسمع أهلهم وهم: طالبي صالح، طالبي عمار، طالبي علي، مقدم. وفي نهاية عام ١٩٥٨ نفد المجاهدون عملية ضد المعمر "طرشون" وغنموا منه ٢٠ رأسًا من الأبقار وقطيع من البغال، وتبادل إطلاق النار بين المجاهدين والمعمر الذي سارع كعادته واستنجد بقوات العدوالتي ارتكبت جرائم قتل في حق المواطنين وهم : مقدم مسعود، مقدم المكي، مقدم بلقاسم، بورحلي علي، بورحلي الطيب، بورحلي محمد، كما أقتيد غيبش الطيب ومقدم محمد إلى مكان مجهول وبقيا مفقودين منذ ذلك اليوم.[٧]

وفي خريف ١٩٥٩ هاجمت كتيبة الجيش التحرير بالقسم ٣ الناحية ٢ للمنطقة الأولى بقيادة بونعاس مسعود "مسعود النية" مزرعة المعمر "ديبا" ببازول وغنموا ٦٠ رأس بقر، كما أوعز المجاهدون إلى أحد طباخي المعمر بدس السم له لكنه تفطن وقتل أربعة عمال كانوا يعملون لديه وهم: بوبيدي محمد (بالزيت)، قريفي فرحات، حيمر محمود، قريفي عمر.[٨]

وفي أوائل سنة ١٩٦٠ قام بعض الحركى بمداهمة منزل مسؤول مشتى الثلاثاء نواحي الطاهير وهوبوحريص عبد المجيد فلم يجدوه فانتقموا من أفراد عائلته (إخوته) وأطلقوا النار على الأخرين بوحريص عبد القادر وبوحريص أحمد وحاولت الأخت بوحريص الشريفة حمايتها فأصيبت وسقطت شهيدة وأصيبا أحد أخويها وشل أخر.[٩] وبعد مقتل العقيد "ماري" بالميلية يوم ٢٩ مارس ١٩٥٩* إثر كمين محكم، عين الجنرال شال مكانه العقيد روجي ترانكيي، وفور استلام مهامه بدأ مخططه بشن حملة ترهيب وسط السكان، وحاصر مدينة الميلية بالأسلاك الشائكة عالية التكهرب ٥٠٠ فولط، وأسمى خطته بـ المفاجأة المنقولة جوًا (La surprise aéroporté) أرفقها بحملات إرهاب وإعدام للمساجين دون محاكمة، كما جمع ٥٠٠ امرأة ونزع لباسهن وعرضهن للتحرشات، وأرتكب مجازر بشعة في بني فرقان فأباد حوالي ٢٩٣ مدنيا، كما قتل ٤٥ شخصًا أوائل جانفي (يناير) ١٩٦٠ بعدما جاؤوا حفاة للمدينة للحصول على حاجيتهم الغذائية** وذلك بالمكان المسمى العنقة نواحي الميلية.[١٠]

رابعًا: المجازر الاستعمارية المرافقة للعمليات الكبرى (عملية الضباب أنموذجًا)

قامت القوات الفرنسية بمحاولة لخنق الثورة بمنطقة القبائل الصغرى من خلال شن عملية الضباب أكتوبر ١٩٥٩م بقيادة الجنرال "قولر" التي انطلقت من جيجل نحو بجاية فقامت الطائرات بقصف مناطق عديدة بالطاهير وتاكسنة وجبال سلمى وبطاشة وتعرض السكان لإبادة جماعية كما وقعت عمليات قمع بين لجناح ووادي يرجانة شرق جيجل، وحرقت القوات الفرنسية ١٨٣ كوخ ونهبت ممتلكات السكان وحطمت الجراري وسكب الزيت على الأرض، وفي ١٩ نوفمبر ١٩٥٨ قنبلت ناحية جيدل وأعتقل ٢٠٠ شخص بين نساء وأطفال ووجهوا لمعتقلات الموت.[١١]

خامسًا: المجازر لقمع المظاهرات الشعبية المؤيدة للثورة

وفي مدينة جيجل قامت مظاهرة شعبية يوم ٩ مايو ١٩٦١ هتفت باستقلال الجزائر ورفعت الجماهير العلم الجزائري وهتفت بحياة الحكومة المؤقتة وقتلت فيها سويعد مسعودة تحت عجلات الدبابة، كما قتلت القوات الفرنسية بالرصاص عباس زليخة وعريبي منوبة وبدرون الشريفة وذلك في المظاهرة بمدينة الطاهير صبيحة ١٩٦٠/١٢/١١. وكتبت جريدة المجاهد يوم ٢١ جوان ١٩٦١ "نظم الوطنيون الجزائريون مظاهرات صاخبة بجيجل والطاهير فتدخلت القوات الاستعمارية وأطلقت نيران أسلحتها على المتظاهرين فقتل ١٤ من بين الوطنيين الجزائريين، وفي قرية ستراسبورغ قامت الجماهير بتنظيم مظاهرة فتدخلت القوات الفرنسية واستعملت رشاشاتها وقتلت ثلاثة أشخاص، وعندئذ نظم الوطنيون بكامل منطقة جيجل مظاهرات وإضرابات احتجاجية دامت ثلاثة أيام وقد قتل في هذه الحوادث ٢٠ وطنيًا وجرح ٧٠ آخرون كما اعترفت البلاغات الفرنسية". وفي ٥ جويلية ١٩٦١ شنت مظاهرات وإضرابات في جيجل وساد توتر كبير سبب حوادث ومظاهرات جوان ١٩٦١، ولم تتردد القوات الاستعمارية في قتل ١٤ متظاهرًا وطنيًا وجرح أكثر من خمسين فرد.[١٢]

سادسًا: جدول للعمليات التي قام بها الجيش الفرنسي " حصار، تفتيش، تمشيط " بين ١٩٥٩/١٩٦٢ بالمنطقتين الأولى والثانية للولاية الثانية ولاية جيجل حاليًا والمجازر المرفقة لها.

مقالات

التاريخ	العملية	الناحية	المنطقة	المجازر المرتكبة
١٩٥٩/٠١/١٥	حملة تفتيش مشتة محبرة	١	١	قتل الحيوانات، إحراق المنازل، قتل أربعة أطفال
مارس ١٩٥٩	هجوم على دوار كراس	٣	١	قتل بن خليفة أحمد وعامر محمود
أفريل ١٩٥٩	حصار دوار لجناح سيدي عبد العزيز	٢	١	قتل ثلاثة مواطنين
١٩٥٩/٠٦/٠٢	هجوم جوي على أولاد يحني	٢	٢	قتل ١٧ مدنيًا وجرح ٦ آخرين
جوان ١٩٥٩	هجوم على منطقة تاكنسة	٢	١	قتل ٢٤ مدنيًا وعدة جرحى
جويلية ١٩٥٩	حملة تمشيط لدوار زالازة	٣	١	إحراق المنازل، قتل الحيوانات، جعل المنطقة محرمة
٢٤ أوت ١٩٥٩	غارة جوية على مشتة عميرة – القنار	٢	١	قتل ثلاثة مواطنين: بوزارابي حورية، بوزرابي زليخة، بن سلامة عمر
١٩٥٩/١٢/٠٢	حملة تفتيش لمشتة دار الحاج – وجانة	٢	١	قتل مواطنين اثنين وحرق المنازل
١٩٥٩/١٢/١١	حصار لمشتة ايدالن الشحنة	٢	١	قتل بومالة الطاهر، عثمانة الطاهر، عثمانة رابح
١٥ مارس ١٩٦٠	هجوم ب ١٥ طائرة على مشتة بومسعود	١	٢	قتل أربعة مواطنين
أوت ١٩٦٠	حملات تفتيش على مشاتي بوخلاد، الروسية دار وشنان	٣	١	تعذيب المواطنين وقتل الكثير منهم
١٩٦٠/١٠/٢١	حصار أولاد خالد (أولاد عسكر)	٢	١	قتل ٥ مواطنين من عائلة واحدة: بوعليش العربي محمد، الحواس، السعيد، صلاح.
١٩٦٠/١١/٠١	حصار لجبل الدرامة تيراوسطارة	٢	٢	قتل أربعة مواطنين
١٩٦٠/١٢/٢٥	حصار أولاد رابح الميلية	١	٢	قتل ٣٢ مواطن
جانفي ١٩٦١	حصار مشتة أولاد مسعودة (العنصر)	١	١	قتل خمسة مواطنين
١٩٦١/٠٩/٢٢	هجوم على محتشد تسالة	٣	١	قتل خمسة مواطنين بعد تعذيبهم تعذيب شديد
نوفمبر، ديسمبر ١٩٦١	هجوم على مشتة بومليح	٢	١	قتل ٢٠ مدنيًا
فيفري ١٩٦٢	حملة تفتيش على رأس فدجيوة	٣	١	ذبح أطفال وأسر المواطنين[١٣]

سابعًا: شهداء ولاية جيجل خلال الثورة التحريرية ١٩٥٤ – ١٩٦٢

البلديات	عدد الشهداء	جيش/ ت	جهة/ ت
جيجل	٣٥٩	١٦٢	١٩٧
تاكسة	٣٩٥	١٨٦	٢٠٩
قاوس	٢١٥	١٠٠	١١٥
جيملة	١٣٤	١٤٠	٩٤
بن ياجيس	٠٩٧	٥٥	٤٢
العوانة	٣٠٣	١٦٨	١٣٥
سلمى	١٧٥	١٠٤	٧١
زيامة منصورية	٣٥٣	١١٧	٢٣٦
إيراقن	١٧٤	٩٤	٨٠
الطاهير	١٩١	١٠٠	٩١
وجانة	١٥٦	٨٩	٦٧
الأمير عبد القادر	٠٩٤	٣٥	٥٩
الشحنة	١٥٤	٧٠	٨٤
الشقفة	٣١٥	٢١٣	٩٨
برج الطهر	٢٠٤	١٥٤	٥٠
القنار نشفي	١٣٤	١٠٢	٣٢
سيدي عبد العزيز	٠٧٨	٤٨	٣٠
الميلية	٩٤١	٦٥١	٢٩٠
أولاد يحي	٠٧٧	٥٦	٢١
السطارة	٢٣١	١٩١	٤٠
غبالة	٢٥٠	١٨٨	٦٢
سيدي معروف	٢٠٥	١٣٣	٧٢
أولاد رابح	٠٨١	٤٢	٣٩
العنصر	٣٤١	٢٣١	١٠٩
واد عجول	٠٩١	٦١	٣٠
جمعة بني ديثي	١٦٤	٧٩	٨٥
لوراوي بلهادف	١١٣	٨٤	٢٩
يوسيف أولاد عسكر	١٢٠	٦٧	٥٣
	٦١٣٤	٣٦٧٥	٢٤٥٩[١٤]

ومن خلال الجدول الأول بلغ ما قتله الجيش الفرنسي من جراء مختلف عمليات المسح والتمشيط والحصار أكثر من ١٣٤ مواطنًا دون احتساب عدد الشهداء الذي سقطوا من جيش التحرير الوطني الذي بلغ الشهداء ٦١٣٤ شهيدًا حسب الجدول الثاني وقد أسفرت عمليات الجيش الفرنسي بين ١٩٥٩ ومطلع ١٩٦٢ بالناحيتين الأولى والثالثة للمنطقة الأولى بعد ١٧٠٢ عملية مسح وتمشيط وحصار عن قتل ٢٠٢٧ مجاهدًا ومواطنًا وسجن العشرات وإحراق المنازل وإتلاف أرزاق الناس.[١٥] وبالمنطقة الأولى والثانية الولاية الثانية (جيجل والميلية) وخلال فترة ١٩٥٩ إلى مطلع ١٩٦٢ نفذت القوات الفرنسية ٤٩ عملية تمشيط وهجوم حصار أسفرت عن مقتل ٢٥١ مجاهد أو مواطنًا وأسر وجرح العشرات.[١٦] وبلغت الخسائر البشرية التي نجمت عن عمليات التمشيط والمسح والتفتيش لمنطقة جيجل والميلية وشمال شرق سطيف مقتل ٤٧٨ مجاهدًا ومواطنًا وعشرات الموقفين والمجروحين وذلك بعد تنفيذ ٢٢١ عملية من طرف الجيش الفرنسي.

ثامنًا: شهادة حية لجندي فرنسي على مجازر ضد سكان منطقة جيجل بونواري (Benoît Rey) مشاهد من عمل مجموعة مغاوير المطاردة (١٩٦١-١٩٥٩) الذباحون

"الليلة الأولى بتاكسنة، أيقظونا على الثانية صباحًا، وعلى الثالثة الانطلاق. الليلة مقمرة، والهواء بلا حراك، حيث رائحة الزعتر والأوراق الجافة تملأ الأجواء. الأحجار تتدحرج تحت أقدامنا. كلاب تنبح بعيدًا. وخلال سيرنا، كنا غالبًا ما نجتاز مشات هادئة في الظاهر لكننا نسمع تنفس الناس، وصرخات الأطفال المخنوقة، والأنفاس المبحوحة للحيوانات وضربات حوافرها على الجدران المبنية بالطوب الطيني. خطواتنا صارت آلية. حبال كيس الأمتعة تنشر كتفي. اجتزنا مقبرة: حجارة بيضاء ترسم حدود القبور، بانتظام. يبدو أن هناك من زار المزار المهجور، تشهد على ذلك أثار نار. الفجر يصبغ التلال المكسوة بأشجار البلوط والفلين بلون وردي حيث هناك تحت ظلال الزيتون غرست أحواض من الخضر. أحيانًا يظهر وجه في الباب المشتى، وسرعان ما يختلط بالظل. لا حركة، عدا خرير جدول تنساب مياهه بين الحجارة.

تنقسم مجموعة المغاوير إلى مجموعتين: تنزل فصيلتان صوب واد. ها هو النهار يطلع والتمشيط يبدأ. هذه الناحية منطقة محرمة، أي أن الناس لا حق لهم في سكنها أو العمل بها. وهي وسيلة لدى الجيش للمراقبة. كل ساكن نجده هناك يشتبه في انتمائه لجبهة التحرير الوطني، لكن الناس شديدي التعلق بدارهم، ببهائمهم، وبقطعة أرضهم وبموتاهم وبالمشهد الذي يحيط بهم، لكي لا يلتحقوا بمراكز التجمع الفرنسية. لقد أمرنا أن نحرق كل شيء. كنا نشاهد الفصيلتين بالمنظار وهما تصعدان نحونا بعد أن أضرمت النار في أسقف الهشيم. وسرعان ما صار كل الوادي يلتهب. النساء يصرخن ويسحبن أو يحملن الأطفال، هاربات متجهات نحو الطريق الذي نحن فيه. شيخ كبير بقي بباب داره. قام جندي بذبحه. وأخر عُلق حبل بالعارضة الرئيسية للسقف. بعد ذلك بلحظات يتهاوى كل شيء. اقترب رفيق مني وقال: "ما يعجب المغاوير هو رغبتهم في أن تتفرج على المشهد".

وعندما أصبحت القرية كلها عبارة عن لهيب، تم تجميع النساء وشرح لهم حركي أن من مصلحتهن مغادرة الناحية والمجيء للاستقرار بالقرب من مركزنا. كانت النساء يبكين وتخدشن وجوههن، والأطفال يصرخون. ولإسكاتهم، أطلق بعض الجنود النار على مجموعة من البغال. طلقات النار، إنها مثيرة دائمًا. وقفلنا راجعين. أحد الرقباء شوهد على الجانب الأخر من سفح الوادي. وبينما تقدمت إحدى الكتائب، بقيت الأخرى لتأمين الحماية. اقتربنا من قرية أخرى. حينها سمعت المرشح بريفو يصرخ نحو فصيلته: "يمكنكم مجامعة النساء، لكن افعلوا ذلك خفية". وحدث كما حدث سابقًا: أحرقت البيوت، البغال لا تؤكل ولهذا تقتل: ليس بالوسع أخذ جرار الطين المزركشة برسوم خرقاء، يتم تحطيمها. لاحظ المرشح بريفوار تباكي فصاح نحوي: "هذه هي التهدئة (Pacification). وعلى كل حال العرب لا يصلحون إلا للقتل" وفي المساء، ونحن عائدين علمت أن فتاة مسلمة عمرها خمس عشرة سنة جامعها سبعة جنود، وأخرى عمرها ست عشر سنة جامعها ثلاثة رجال آخرين.

في ذلك المساء، ذرفت دموعي الأولى كرجل. في المعسكر، مع آخرين، فرانسوا وأنا، بذلنا جهدنا لإسعاف سجناء عملية التمشيط. كانوا يقومون بأعمال شاقة، مثل التعبيد وتصفيف الحجارة وأنواع من الأشغال المنفرة، وهذا غالبًا ما يتم بعد أن يتعرضوا للتعذيب بالكهرباء (Gégène) أو بالضرب المبرح. طعامهم الوحيد: فضلات وجباتنا، بعد أن يصنع منها حساء مقيت. أحد الطباخين، وكان جنديًا مثلنا، افتخر بأنه وضع في الحساء خراءه. كنا نعطيهم خفية معلبات، خبزا، سجائر. كان ذلك يمحو شيئا من العار الذي كنا نحس به تجاه هؤلاء الرجال، سواء أجرموا أم لا. وما هي الجريمة التي ارتكبوها؟ جواز مرور غير صالح، شكوك، وشاية مجانية. كثيرًا ما سمحت لي الفرصة فيما بعد، للذهاب إلى مقرات الحجز لمعالجة الجرحى أو لجلب الحمالين. كان الرجال مكدسين في غرفة من ثلاثة أمتار على خمسة. إنهم خمسون. البعض يفضلون العمل على البقاء محبوسين. قالوا لي، «فهمت، أننا ننام في وضعية القرفصاء أو جالسين".

للغرفة نافذة وحيدة مشبكه بالحديد لا يرى إلا مربع من السماء. بعض الأحلاس هي كل الأثاث. غار يستخدم بمثابة مرحاض تنبعث من هناك رائحة البراز والديدان والعرق. وعندما تتعود عيوننا على الرؤية في العتمة نلمح أوجهها، بعضها حاقدة، وبعضها ساخرة، ونظرات ميتة أيضًا، تنتظر اللا شيء. بعض هؤلاء كانوا مصابين بالحمى ويرتجفون رغم الحرارة المرتفعة. كلما فتح الباب المدجج بالأقفال يستبد الخوف بالرجال. كم منهم نودي به في أحد الأصباح أو المدجج بالأقفال يستبد الخوف بالرجال. كم منهم نودي به في أحد الأصباح أو الليالي ولم يعد أبدًا، بعد أن تذبح رقابهم أو تخرق أجسادهم بالرصاص يتركون للثعالب تنهشهم، على جنبات الطرق أو في الغابات.

وراء ذلك المبنى، هناك فناء وفي نهايته أربع غرف: مكتب ضابط الاستعلامات، زنزانة المحكوم عليهم بالإعدام، في أجل قصير أو طويل، زنزانة النساء وأخيرًا قاعة التعذيب، التي تشبه غيرها من القاعات. هناك جرارة، حبال، "مولد كهربائي للتعذيب" (Gégéne)، بعض الهراوات وأسورة حديدية ملتصقة بالجدار. عندما وصلنا إلى تاكسنة، كان هناك رجل مقيد إلى النافذة، ويصرخ إلى حد أن الجنود كانوا يخرجون أو ينظرون من النوافذ. هددهم أحد الضباط باللجوء إلى غلق نوافذ المرقد نهائيًا إذا تجدد هذا الفضول. فيما بعد، تدسنت المنظومة، وجدوا محلاً مختفيًا لا تخرج منه الصرخات من وراء الجدران السميكة. في تلك الفترة، كان ضابط الاستعلامات، برتبة ملازم، من الأقدام السوداء، جزائري. أشتهر بفضاضته وقسوته. أتصور أن اسمه لن يمحى من بعض الذاكرات. لا يختار ضابط الاستعلامات بالصدفة. يتجنب اختيار "مثقفين" (طلبة أو من المهن الحرة) بل من بين أشخاص بدون تكوين

فكري كبير، بحيث يمكن تسييرهم. بالنسبة إليهم لا يطرح أي مشكل أخلاقي حول التعذيب.

يعتقدون أنه عمل مجحف لكنه ضروري. والحجة دائمًا: "إنهم يفعلون ما نفعل في الجانب الآخر" لبعث الحماس وكبت ما يعترضهم من تأنيب. التعذيب عامل أساسي في هذه الحرب "القذرة"، حسب كلام الرسميين. كل الأساليب جيدة، كل الضربات مسموح بها. لن أنسى أبدا ذلك السجين ابن الخمسة عشر سنة، الذي جن من كثرة ما عذابات إخوانه. عالجناه خلال نوبة عصبية، كان لباسنا العسكري يفزعه. كان لا يتوقف عن ترديد: " وعلاش، وعلاش، وعلاش (لماذا)".

أكتوبر. – البارحة، تم إعدام ثلاثة مساجين. كانوا قد شاركوا في كمين دموي بالنسبة إلينا: قتل منا خمسة عشر. تم انتزاع الاعترافات حسب الطقوس المعتادة: تسليط نبضات الكهرباء على المناطق مختلفة من الجسم. الضرب المبرح. ثم علق دركي ثقلا يزن خمسة عشر كيلو بالخصيتين. هنا تجيء الاعترافات بسهولة. الإعدامات قام بها رفاق قتلانا في الصباح الباكر. في الليل خرجنا. وداهمنا الصباح ونحن على تلة مطلة على المشات. كان هناك سجين معنا، يداه مغلولتان وراء ظهره. ابتعد به المرشح بريفوست وقتله برشة في الظهر. استدار إلينا المرشح وصاح فينا بابتسامة عريضة: "إنه محظوظ، هذا، لقد وجهت رأسه نحو مكة". تركت الجثة ونحن ننزل نحو المشاتي. ونظرا إلى أن احترام الموتى مقدس ههنا، فإننا قلما نجد الجثث على حالها. هناك أياد نقية تحفر القبور. نعرفها من خلال الحجارة البيضاء المنصوبة في التراب. وما أكثر هذه الحجارة البيضاء في الجبل.[١٧]

خَاتِمَةُ

يتضح من خلال هذه النماذج عن المجازر الاستعمارية الفرنسية بمنطقة جيجل ما يلي:

- كانت المجازر الاستعمارية ترتكب تحت ذرائع واهية ومغلوطة حقيقتها عجز الجيش الفرنسي عن مجابهة تكتيكات جيش التحرير الوطني، وصدق أحد الضباط الفرنسيين وصفه هذه الوضعية بقوله (كنا نقاتل عدوا غير واضح).
- مدى فظاعة الاستعمار الفرنسي الذي كان في الحقيقة يخوض حربًا قدرة ضد الشعب الجزائري، قفز فيها عن كل القيم الإنسانية والأخلاقية التي تراعي في الحروب، وقد كان من نتائج هذه المجازر البشعة أن دفعت المنطقة قافلة كبيرة من الشهداء بلغت ٦١٣٤ شهيدًا.
- إن المتتبع لهذه المجازر يستخلص أنها كانت مجازر مخطط لها وتهدف لزرع الرعب وسط السكان، كما استهدفت بنسبة كبيرة فئة الشباب والرجال لضرب منابع الثورة وتشتيت العائلات وفصل الشعب عن الثورة وإظهارها بأن الثورة قد تسببت في إلحاق الأذى بالشعب وهو ما يفسر عمليات الانتقام بعد كل معركة ولكن الشعب إزداد التفافًا بالثورة لأنه كان مؤمنا بها فكان النصر حليفه رغم المآسي.
- إن المجازر الاستعمارية الفرنسية في منطقة جيجل خلال الفترة (١٩٥٦ – ١٩٦٢م) تفسر ذهنية الجيش الفرنسي التي تميل إلى القسوة والإرهاب كاستراتيجية مدروسة تلقاها الضباط والجنود الفرنسيون لكسر انتصارات الثورة التحريرية بمنطقة جيجل التي كانت بالفعل تمثل إحدى معاقل جيش التحرير الوطني بالشمال القسنطيني.
- إن هده المجازر لم تثني من عزيمة سكان منطقة جيجل في التمسك والالتفاف بالثورة التحريرية وكانت المظاهرات الشعبية التي شهدتها مدن جيجل والطاهير والميلية خير دليل على إيمان الشعب بهده الثورة.
- إن الاستعمار الفرنسي مهما حاول إخفاء مجازره البشعة فقد فشل في هذه المهمة، واعترف ضباطه وجنوده بهذه الجرائم بعد فترات من نهاية الثورة التحريرية ولعل شهادة الجندي بونواري (Benoît Rey) تكشف جانب ولو ضئيل جدًا من هده المجازر.

الملاحق

خريطة رقم (١)
التوزيع الجغرافي لشهداء ومعتقلي ولاية جيجل

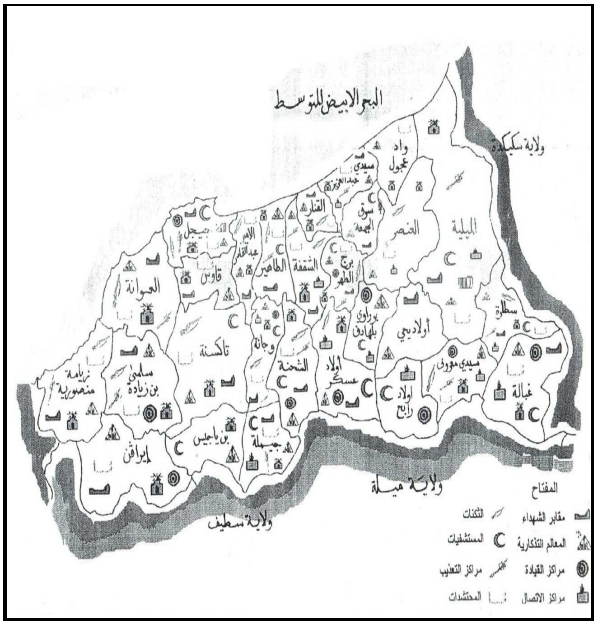

خريطة رقم (٢)
الخريطة التاريخية لولاية جيجل

خريطة رقم (٣)
التقسيم الإداري والسياسي والعسكري للمنطقة الأولى وجزء من المنطقة الثانية بعد مؤتمر الصومام

الهَوامِشُ

(١) حسين بن أحمد شعور، "**دوار بني مسلم والثورة التحريرية**"، مجلة أول نوفمبر، العدد ١٧٢، ديسمبر ٢٠٠٨ ص ٥١، ٥٢، ٥٣.

(٢) يجي سويعد، بن حبليس علي، سرحان عبد الحميد، **جمعية ٢٠ أوت لتحليل مآثر الثورة التحريرية والتعريف بها لولاية جيجل**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١، ص١٨٧ – ١٨٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٩٠-١٩١.

(٤) الجمعية الثقافية ٢٠ أوت التخليد وحماية الثورة، **جهاد المرأة الجزائرية في ولاية ميلة ١٩٦٢/١٩٥٤**، دار الهدى، عين ميلية، ص٦١.

(٥) علي خلاصي، **جيجل تاريخ وحضارة**، الطبعة الأولى، الجزائر، ٢٠١١، ص٣٧٢-٣٧٣. * الملاحظ أن المفقودين ينتمون إلى نفس العائلات وأغلبهم شباب وكهول كما تبين هذه العملية أنها مع سبق الإصرار والترصد فقد تمت الجريمة بشكل سري ودون محاكمة ولو صورية.

(٦) **المجاهد العربية**، جزء الأول، العدد ٣٣، ص٩.

(٧) يجي سوعد، بن حبيلس علي، سرحان عبد الحميد، **جمعية ٢٠ أوت**، المرجع السابق، ص ١٩٣ – ١٩٤.

(٨) المرجع نفسه، ص١٩٩.

(٩) المرجع نفسه، ص٢٠٣.

(١٠) شيخ عمر، مملكة الفلاقة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ٢٠١١ ص١٢٨- ١٤٠.

(١١) علي خلاصي، المرجع السابق، ص٣٨١-٣٨٢.

* وهو نفسه اليوم الذي أستشهد فيه البطلين العقيدين عميروش ولطفي بمنطقة جبل أحمر في المسيلة.

** هذه المد لجة شاهدها المجاهدين ملجملاوي، إبراهيم عبد الوهاب، شيخ عمر.

(١٢) بورمضان عبد القادر، **الثورة التحريرية بمنطقة جيجل ١٩٥٤-١٩٦٢**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قالمة ٢٠١٣/٢٠١٤، ص٧٣ – ٧٤.

(١٣) **الملتقى الجهوي لتسجيل أحداث الثورة التحررية**، جيجل، أفريل ١٩٨٧م، الولاية الثانية، الفترة ١٩٥٩-١٩٦٢، ص٣٩٢ – ٣٩٣.

(١٤) وزارة المجاهدين، ولاية جيجل، **السجل الذهبي للشهيد**، الطبعة الأولى ١٩٩٨، ص٥ – ٢١٣.

(١٥) جبهة التحرير الوطني والمنظمة الوطنية للمجاهدين، **الندوة الوطنية للتسجيل أحداث الثورة ٣٠ أوت ١٩٨٦م**، ص١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٧، ١٥٠.

(١٦) جبهة التحرير الوطني والمنظمة الوطنية للمجاهدين، **الملتقى الجهوي لتسجيل أحداث الثورة**، المرجع السابق، ص٣٩٢،٣٩٣.

(١٧) عن جرائم الجيش الفرنسي، **ملف جمعه بيار فيدال تاكي**، ماسبيرو، ١٩٧٥، أعادت طبعه لاديكوفارت، ٢٠٠١، ص ١٧-٢٤. عاشور شرفي، **قاموس الثورة الجزائرية ١٩٦٢/١٩٥٤**، ترجمة عالم مختار، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧ ص ٥٢٧-٥٢٨.